

الحلقة السابعة والسبعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ما رأيك مستمعي بالانتقام؟ وهل يحق للإنسان أن يقتل عدوه الذي اعتدى عليه وأساء إليه؟ وما هو موقفك من شعار الجهاد في سبيل الله الذي نسمعه يتردد كثيراً هذه الأيام؟ وهل حقاً أن الله سمح بالجهاد والقتل؟ هذا ما سنبحثه في لقاء اليوم انطلاقاً من حادثة واقعية حصلت مع المخلص يسوع المسيح.

دوّن لنا البشير متى ما حصل ليلة إلقاء القبض على المسيح عندما كان مع تلاميذه في بستان جثسيماني. فقد أتى تلميذ المسيح الخائن يهوذا الإسخريوطي مع جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب اليهود، وألقوا القبض على المسيح. ثم نقرأ ما يلي: «وَأِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَيَّ أَبِي فَيَقْدِمَ لِي أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَكَيْفَ تَكْمَلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟» (بشارة متى ٢٦: ٥١-٥٤).

ويخبرنا البشير يوحنا أن التلميذ بطرس هو الذي استلَّ السيف وضرب عبد رئيس الكهنة وقطع أذنه اليمنى. أما البشير لوقا فيخبرنا أن المسيح طلب أن يأتي العبد إليه فلمس أذنه وأبرأها. سنتأمل الآن بهذه الحادثة المثيرة فابقوا معنا أصدقائي.

مستمعي الكريم، لقد كان أمراً طبيعياً أن يدافع تلاميذ المسيح عن سيدهم. فهو الآن يواجه مؤامرة كبرى، ويتعرض للاعتقال من قبل رؤساء اليهود، هذا الاعتقال الذي قد يؤدي به إلى الموت. ولهذا استلَّ التلميذ بطرس السيف وبادر بقطع أذن عبد رئيس الكهنة. لكن الأمر المستغرب كان هو موقف المخلص يسوع المسيح نفسه. فهو لم يستنكر ما قام به تلميذه فحسب، بل دعا العبد ولمس أذنه وأبرأها. إن هذا الموقف إن دلَّ على شيء فهو يشير إلى إظهار المسيح لمحبتته ليس لهذا العبد فحسب، بل للجمع الغفير الذي أتى لكي يُلقى القبض عليه ويهلكه.

لقد كشف لنا المخلص المسيح أيضاً عن مبدأ هام جداً ألا وهو: «أَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السِّيفَ بِالسِّيفِ يَهْلِكُونَ!». فإن الإنسان الذي يلجأ للسيف أي للقوة لقتل أخيه الإنسان، لا بدّ أن يقع يوماً ما ضحية لهذا الأمر، أي سيصبح هو نفسه معرضاً لاستخدام القوة ضده، وبالتالي معرضاً للهلاك. أو ليس هذا ما تكشفه لنا وتبينه كل التجارب والأحداث؟ فكم من إنسان استخدم القوة ضد أخيه الإنسان، وتدور الأيام وإذا به يتعرّض هو نفسه لكي تُستعمل القوة ضده. وإذا كان قد قُتل أحدهم فلا بدّ أن يتعرّض هو نفسه للقتل. ألا يقول المثل العربي: «بشّر القاتل بالقتل حتى ولو بعد حين».

وهنا نأتي لطرح موضوع الجهاد في سبيل الله الذي ينادي به البعض كثيراً في هذه الأيام. فهل حقاً سمح الله بالجهاد والقتال ضد الكفار والملحدين كما يدّعي البعض؟ وهل من المعقول أن يكون الله الذي تُعرفنا عنه كلمة الله المقدسة أنه محبة، هل من المعقول أن يأمر بالجهاد والقتل؟

أولاً يكشف لنا هذا المبدأ الذي وضعه المخلص المسيح عن حقيقة هامة جداً. أنه علينا أن لا نستخدم القوة ضد الآخرين، فكيف بالجهاد والقتل؟ هل تعلم مستمعي أن فكرة الجهاد والقتل مصدرها إبليس الشيطان؟ لهذا قال المخلص المسيح عن إبليس: «ذَلِكَ كَانَ قَتْلًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ» (بشارة يوحنا ٨: ٤٤ ب). إذن إن إبليس الشيطان هو مصدر القتل والشر وليس الله، وهو بالتالي الذي يحرض الناس على الجهاد بما يسمى في سبيل الله والقتل. أو ليس هذه النتيجة التي وصلنا إليها أمراً منطقياً ومعقولاً؟ فمن غير المعقول أن الله المحب يأمر بالجهاد والقتل!

صديقي المستمع، إن المسيحية لا تؤمن أن الله محبة فحسب، بل إن الله برهن عن محبته للبشر عندما أرسل المخلص المسيح كلمته الأزلي لكي يموت على الصليب عوضاً عنا نحن البشر الخاطئة. وهكذا صار بإمكان الإنسان الخاطيء أن ينال الغفران عن خطايه ويصبح من أولاد الله ويحظى بالحياة الأبدية. هذه هي خطة الله الأزلية لخلص الإنسان. ولهذا قال المخلص المسيح للتلميذ بطرس: «أَتَظُنُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْ أَبِي فَيَقْدَمَ لِي أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَكَيْفَ تُكَمِّلُ الْكُتُبَ: أَنَّهُ هَكَذَا يَتَّبَعِي أَنْ يَكُونَ؟». أي كان يجب أن يذهب المسيح إلى الصليب لكي يتم ما تنبأ به الأنبياء.

ومن جهة أخرى نجد أن المسيح دعا تلاميذه والمؤمنين به في موعظته الشهيرة على الجبل قائلاً: «أَجِبُوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِينِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (بشارة

متى ٥:٤٣-٤٥). فهل هناك من مبادئ سامية أعظم من هذه؟ وكتب الرسول يوحنا قائلاً: «أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، لِنُحِبِّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ اللَّهَ. وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ، لِأَنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ.» (ايوحنا ٤:٧-٨). إن من يحب يعلن أنه قد عرف الله وأصبح من أولاده. وعلى العكس أن من لا يحب فهو لا يعرف الله، لأن الله محبة.

لا بل دعا الرسول بولس المؤمنين بالمسيح قائلاً: «لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِي النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعُ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ.» لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (رومية ١٢:١٩-٢١). أي على المؤمن بالمسيح أن يغلب الشرّ بالخير وليس العكس. وهذا تأكيد آخر أن الدعوة للجهاد والقتل ليس مصدرها الله المحب. أولاً ترغب مستمعي أن تختبر محبة الله وأن تصبح من أولاده؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص يسوع المسيح، المخلص الوحيد الفريد فتحظى بالغفران الكامل والحياة الأبدية؟